من هو المصلوب المسيح أم يهوذا أم شخص آخر؟

د. فريز صموئيل

في محاولات التشكيك الفاشلة تطلق السهام من كل اتجاه، عسى أن ينجح أحدها في الغرض المطلوب، وإذا على صخرة الحق تتحطم كل السهام، بل ويؤدى مثل هذا الهجوم الكاذب إلى مزيد من وضوح الرؤية وإعلان الحق، ورغم الأدلة الواضحة والمؤكدة فالبعض ينكرون، وماذا نقول لعيون رمداء لا ترى الشمس في رابعة النهار.

نناقش الادعاءات التي قال بها البعض، وسنورد أدلتهم المزعومة كما ذكروها ونقدم التعليق عليها.

أولًا: القول بصلب يهوذا الإسخريوطي

يهوذا هو واحد من تلاميذ المسيح الاثني عشر (متى١٠: ٤)، وكان أمينًا لصندوق الجماعة (يو١٢: ٦)، ثم تأمر مع رؤساء الكهنة ليسلمهم المسيح (متى٢٦: ١٤). وقاد كوكبة من الكهنة والجنود للقبض على المسيح (متى٢٦: ٤٧-٥١). ويقول البعض إنه عندما جاء الجنود للقبض على المسيح ألقى الله شبه المسيح على يهوذا فقبض عليه، وتم صلبه بدلًا من المسيح، ونذكر هنا مثالين لهذا الادعاء:

المثال الأول: "أخذ جند الرومان يبحثون عن عيسى لتنفيذ الحكم عليه، وأخيرًا عرفوا مكانه فأحاطوا به ليقبضوا عليه، وكان من أصحابه رجل منافق يشيء به، فألقى الله عليه شبه عيسى وصوته، فقبض عليه الجنود وأرتج عليه أو أسكته الله فنفذ فيه حكم الصليب، أما المسيح فقد كتب الله له النجاة من هذه المؤامرة، وانسل من بين المجتمعين، فلم يحس به أحد وترك بنى إسرائيل بعد أن يئس من دعوتهم وبعد أن حكموا بإعدامه.. ولم تحدد المراجع الإسلامية الدقيقة شخص هذا الواشئ وربما تأثرت بعض المراجع بالمراجع المسيحية فذكرت أن هذا الخائن هو يهوذا الإسخريوطى".

المثال الثاني: "قد تجلت قدرة الله سبحانه في رفع السيد المسيح إلى السماء معززًا مكرمًا وإيقاعها بالمجرم الخائن يهوذا لينال عقاب خيانته".

التعليق:

١- إن الجنود ذهبوا للقبض على المسيح ليحكموا عليه، وليس لتنفيذ الحكم عليه.

٢- يذكر د. شلبي أن المسيح انسل من بين المجتمعين فلم يحس به أحد وترك بنى إسرائيل، بينما كل روايات القبض على المسيح تذكر أن الله رفعه، ولم يذكر د. شلبي ذلك، لأنه لا يؤمن برفع المسيح بالجسد إلى السماء، مخالفًا بذلك شبه الإجماع في هذا الموضوع.

٣- لم يوضح لنا د. شلبي أين ذهب المسيح، وكيف انتهت حياته على الأرض؟

- هل من الممكن أن يلقى الله شبه المسيح على يهوذا؟

"إنه من التجديف الصريح على الله أن نظن وهو الأمين المنزه عن الكذب أنه قد خدع الناس، فغيّر شكل يهوذا إلى شكل المسيح، وبذلك غرر بملايين البشر على مدى القرون، الأمر الذي يقود الناس إلى الاعتقاد بأن الله لن يعاقب الناس أيضًا على ما اقترفوه من خداع، فقد سبقهم ـ حاشاه جل شأنه ـ في عمل أكبر خدعة في التاريخ. هي خدعة تغيير شكل يهوذا إلى شكل المسيح".

وعندما واجهت الرازي المفسر المعروف مشكلة إلقاء شبه المسيح على يهوذا قال:

"فكيفما كان، ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

الإشكال الأول: أنه إن جاز أن يقال إن الله تعالى يلقى شبه إنسان على إنسان آخر، فهذا يفتح باب السفسطة وأيضًا يفضى إلى القدح في التوتر. ففتح هذا الباب أول سفسطة، وآخره إبطال النبوات بالكلية.

الإشكال الثاني: إن الله أيده بروح القدس جبريل. فهل عجز هنا عن تأييده؟ وهو كان قادرًا على إحياء الموتى؟ فهل عجز عن حماية نفسه؟

الإشكال الثالث: إنه تعالى كان قادرًا على تخليصه برفعه إلى السماء: فما هي الفائدة من إلقاء شبهه على غيره؟ فهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه؟

الإشكال الرابع: بإلقاء الشبه على غيره اعتقدوا (اليهود) أن هذا الغير هو عيسى ـ مع أنه ما كان عيسى ـ فهذا كان إلقاء في الجهل والتلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله.

الإشكال الخامس: إن النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح، وغلوهم في أمره. أخبروا أنهم شاهدوه مقتولًا مصلوبًا، فلو أنكرنا ذلك كان طعنًا فيما ثبت بالتواتر. والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد وعيسى وسائر الأنبياء.

الإشكال السادس: ألا يقدر المشبوه أن يدافع عن نفسه، أنه ليس بعيسى، والمتواتر أنه فعل. ولو ذكر ذلك لأشتهر عند الخلق هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من ذلك علمنا أن الأمر ليس على ما ذكرتم". وبعد أن أورد الرازي هذه الإشكالات رد عليها، ولكن الرد ضعيف.

وقد ساق د. محمد وصفي عدة أدلة على أنه لا يمكن ليهوذا أن يسلم أو يخون المسيح وقال: "أما الدليل على أن يهوذا لا يمكن أن يسلم المسيح أو يخونه، هو كون يهوذا أحد حوارى المسيح وأحبائه، بل لقد كان يهوذا أحد الاثنى عشر الذين مدحهم المسيح أعظم مدح ووعدهم بالجلوس على كراسي العظمة والمجد. فقد ذكر متى قول يسوع: "الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر" (مت١٩: ٢٨). ويهوذا كذلك هو أحد الاثنى عشر الذين دعاهم المسيح "ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانًا على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف، وأما أسماء الاثنى عشر رسولًا فهي هذه ... ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه" (مت١٠: ١-٤).

إن يهوذا الذي أعطاه المسيح كل هذه السلطات يدعون أنه مات مرتدًا وكافرًا، وأنه خان المسيح وسلمه، وذلك على الرغم من شهادة المسيح له أنه سيكون معه هو والحواريون في الجنة في الآخرة. رغم أن يهوذا غسل المسيح رجليه مع باقي التلاميذ وقال له: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله".

- أما دعوى أن يهوذا قد تاب توبة صادقة ولذلك لم يسلم المسيح بل أشار إلى أحد غيره فهذه أيضًا دعوى كاذبة لما يلي:

في (مت٢٧: ٣-٥) "لما رأي يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلًا: "قد أخطأت إذ سلمت دمًا بريئًا". فقالوا: "ماذا علينا أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسة".

أ- فعندما رأي يهوذا أن المسيح قد دين، ندم. وكلمة ندم هنا ليست نفس الكلمة التي تُرجمت بهذا المعنى في العهد الجديد والتي تتضمن الغفران المبنى على التوبة، بل تعنى أنه تأسف أو غير رأيه، واستعمالاتها الأخرى الوحيدة نجدها في (مت٢١: ٢٩، ٢كو٧: ٨، عب٧: ٢١)، فهي تعطى فكرة الأسف ولكنها لا تعبر عن توبة صادقة تؤدى إلى الخلاص أي أن توبة يهوذا هي توبة اليأس القاتل، لأنه رغم أسفه لم يستطع التخلص من الشعور بالذنب الذي أدى به إلى الانتحار شنقًا.

ب- إن ندم يهوذا هذا قد حدث عقب المحاكمة الدينية التي أدانت المسيح، وقررت أنه "مستوجب الموت" (مت٢٦: ٦٦).

والنص الكتابي واضح أنه "لما رأي يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم" (مت٢٧: ٣). إذن فالقول بأنه ندم فأشار إلى واحد غيره غير صحيح بالمرة.

ج- أما قول المسيح له: يا صاحب لماذا جئت (مت٢٦: ٥٠). ليس دليلًا على توبة يهوذا، لأن هذا القول تفوه به المسيح قبل القبض عليه مباشرة، والندم ـ كما سبق وأوضحنا ـ حدث بعد صدور الحكم اليهودي بأن المسيح مستوجب الموت.

وربما نجد في هذا القول من المسيح تنبيهًا وتحذيرًا ليهوذا، فالمسيح لم يكن جاهلًا لسبب مجيئه، ولكنه أراد بقوله هذا أن يحثه ليتأمل الإثم الذي ارتكبه، وليتذكر قول المسيح عن مسلمه أنه "كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد" (مت٢٦: ٢٤). ثم يجب ألا يغيب عن فكرنا كون أن يهوذا خان المسيح، فهذا لا يغير بالمرة موقف المسيح المحب منه، فقول المسيح له: يا صاحب ليس بغريب على المسيح الذي أوصى بمحبة الأعداء (مت٥: ٤٤). والذي طلب الغفران لصالبيه (لو٢٣: ٣٤).

د- إن يهوذا لم يستطع أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء، ليعالج ما أفسده. فهو قد اتفق مع الكهنة على أن يسلم لهم المسيح، وقاد الحملة بنفسه وقُبض على المسيح وحُكم عليه بالموت. وعندما رأي يهوذا أنه قد دين ذهب إلى الكهنة وطرح الدراهم في الهيكل مقرًا أن المسيح برئ. فماذا كان رد الكهنة؟ "أنت أبصر" (مت٢٧: ٤) أي أن هذه هي مسئوليتك أنت ولا علاقة لنا نحن بها، ولم يغير أسفه من واقع الأمر شيئًا.

ونختم هنا ما كتبه د. وليم إدي حول هذا الموضوع:

١- إن الحصول على أفضل الوسائل لا يضمن الخلاص، فقد كان يهوذا رسولًا مختارًا، ومن الاثنى عشر، ورفيقًا للمسيح، وشاهد معجزاته، وسمع تعليمه، ونال أفضل وسائط النعمة... ومع ذلك هلك.

٢- إنه يمكن أن ينال الإنسان صيتًا حسنًا بين الناس وهو بلا تقوى أمام الله، فإن المسيح أرسل يهوذا كسائر الرسل ليعلم ويصنع الآيات، وظهر أنه ترك كل شيء لأجل المسيح كغيره من الرسل، ولم يظن أحد منهم فيه سوءً، لأنهم عينوه أمينًا لصندوقهم وحين قال المسيح "واحد منكم يسلمنى" لم يشك أحد في يهوذا، بل نظر إلى نفسه أولًا، بدليل قول كل واحد منهم: هل أنا يارب؟

٣- إن الندامة على الإثم لا تصلح ما أفسده، ولا تسكت الضمير. فإن يهوذا ندم ورد الدراهم واعترف بإثمه، لكنه لم يقدر أن ينقذ المسيح بذلك، لأنهم لم يجيبوه إلا بقولهم: ماذا علينا أنت أبصر. ولم يستطع أن يسكت ضميره بدليل أنه "مضى وخنق نفسه" وأما الذي لا تنفعه الندامة ينفعه دم المسيح إذا لجأ إليه ولكن يهوذا لم يفعل كذلك.

مما سبق نرى:

- إن يهوذا لم يتب توبة صادقة

- إن ندمه كان بعد تسليم المسيح وصدور حكم الإدانه، وليس قبل القبض عليه حتى يمكن أن يقال إنه ندم فأشار إلى غيره.

ـ إن الادعاء بأن المصلوب شخص آخر غير المسيح ـ واحد من تلاميذه ـ فهو مردود عليه في كل البراهين التي تثبت عدم صلب يهوذا أو سمعان القيروانى أو باراباس، وأيضًا من البراهين التي تثبت صلب المسيح في الفصل الثانى من الكتاب.

ثانيًا: القول بصلب سمعان القيروانى (القيرينى):

في هذه المرة جاء السهم من طائفة تدعى الغنوسية، ظهرت في القرن الأول الميلادي، وقد وجد م. أحمد عبد الوهاب في هذا الادعاء ضالته المنشودة فكتب: "لقد كان من المعتاد أن يقوم الذين محكوم عليهم بالصلب، بحمل صلبانهم بأنفسهم ويقرر يوحنا أن هذا ما حدث فعلًا في حالة يسوع. ولكن على العكس نجد في رواية مرقس ومتى ولوقا أن شخصًا مجهولًا يُدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلًا عن يسوع (مر١٥: ٣١). ويقول أحد المفسرين: "من الواضح أن الكنيسة التي كتب لها القديس مرقس إنجيله كانت تعرف هذين الشخصيتين، الكسندروس وروفس جيدًا ولم يكن هناك داع للحديث عنهما أكثر من ذلك. ويبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة التي تقول أن سمعان قد حمل الصليب، وما من شك أن أحد الأسباب الرئيسية في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدرًا للمعلومات عن الصليب جديرًا بالثقة، ولعل السبب في حذف هذه الرواية الخاصة بحمل سمعان القيروانى للصليب في إنجيل يوحنا، هو أن الوقت الذي كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠-١٢٥م) كان الادعاء أن سمعان القيروانى قد حل محل يسوع وصلب بدلًا منه، لا يزال ساريًا في الدوائر الغنوسية التي كان لها الشهرة فيما بعد (D.E Ninehan: Sant mark. P ٤٢٢). فمن ذلك تبين أنه في الفترة التي اعقبت رفع المسيح حتى كتابة الأناجيل قد وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصًا آخر صلب بدلًا منه.

التعليق:

كان الصلب يتم عادة خارج المدن وعلى قارعة طريق عام أو في ميدان فسيح الأرجاء، لكى يكون المصلوب عبرة للجماهير التي تحتشد حول منظره المفجع، لذلك أُخرج المسيح خارج أورشليم. ويقول بلوتارخ ـ حجة التاريخ القديم ـ : "إن قوانين الرومان كانت تفرض على المحكوم عليه بالصلب أن يحمل صليبه بنفسه إلى موضع الصلب مسوقًا بأربعة حراس من الجند، غير أن الآلام النفسية والجسدية كانت قد أخذت من المسيح كل مأخذ، فانهكت جسمه الرقيق.. فلما رأوا ضعف جسده "أمسكوا سمعان رجلًا قيروانيًا كان آتيًا من الحقل ووضعوا عليه الصليب. ليحمله خلف المسيح"

فمن هو سمعان القيروانى؟

بالرجوع إلى سفر أعمال الرسل نرى:

(أع٢: ٥ و١٠) "وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم.. ونواحى ليبية التي نحو القيروان"

(أع٦: ٩) "فنهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتينيين والقيروانيين".

فسمعان من القيروان: وهى مدينة في ليبيا، وكانت وقتئذ خاضعة للرومان وسكنها كثير من اليهود (أع٢: ١٠)، لأن بطليموس لاجى أرسل منهم إلى هناك مئة ألف قبل ثلاث مائة سنة من ذلك الوقت. فإزدادوا كثيرًا حتى صار لهم مجمع خاص في أورشليم (أع ٦: ٩)، وكان بعضهم أول المبشرين المسيحيين (أع١١: ٢٠، ١٣: ١). والمرجح أن سمعان القيرواني أتى إلى أورشليم حينئذ للاحتفال بعيد الفصح، وذكر مرقس أنه كان والد ألكسندروس وروفس لأنهما معروفان عند المسيحيين (مر١٥: ٢١). ويقال أنه آمن بالمسيح. وربما أنضم للتلاميذ بسبب هذا الحادث وأصبحت عائلته معروفة للكنيسة (رو١٦: ١٣).

وقد ذكر قصة تسخير سمعان القيرواني لحمل الصليب متى ومرقس ولوقا (مت٢٧: ٣٢، مر١٥: ٢١، لو٢٣: ٢٦)، ولم يذكر يوحنا هذا وعدم ذكره لا يعنى بالمرة عدم حدوثه، وقول الكاتب إن إنجيل يوحنا لم يذكره لانتشار الادعاء من قبل الغنوسيين بأن سمعان القيرواني قد حل محل المسيح فربما كان هذا الادعاء صحيحًا.

"ولعل علة تسخيرهم سمعان القيرواني، أنه أول من صادفوه في الطريق بعد تحققهم عجز يسوع عن حمل صليبه، أو لأنهم رأوه أجنبيًا فاستخفوا به، أو لعله ظهر على وجهه شيء من أمارات الشفقة على يسوع. لذلك سخروه"

وتسخير شخص يحمل الصليب لشخص مصلوبًا ليس بالأمر المستبعد حدوثه، ربما بدافع الرحمة والشفقة قبل إتمام عملية الصلب.

وعلى لسان سمعان القيرواني كتب جبران خليل جبران:

"كنت في طريقي إلى الحقول رأيته يحمل صليبه وفي إثره جماهير غفيرة. عندها مشيت أنا الآخر إلى جانبه. وكم من مرة توقف إعياء بما يحمل، إذ كان مجهد الجسم وتقدم مني جندي روماني وقال: تعال، أنك لقوى، متين البنية، أحمل عن هذا الرجل الصليب. وما إن سمعت هذه الكلمات حتى أمتلأ قلبي زهوًا وكنت شكورًا وحملت عنه صليبه. وكان ثقيلًا إذ كان من خشب الجوز وأشرب أمطار الشتاء، ونظر إليّ يسوع وعرق جبينه ينحدر على لحيته. ثم نظر إليّ ثانية وقال: أتشرب أنت الآخر هذا القدح؟ لترشفن معي حقًا من حافته إلى الأبد.

وما إن قال هذا حتى وضع يده على كتفي الخالية ومشينا معًا نحو تل الجلجثة. وما أحسست إذ ذاك ثقل الصليب، وإنما أحسست بيده وكانت أشبه بجناح الطائر فوق كتفي، ثم أدركنا قمة الجبل حيث كانوا يزمعون أن يصلبوه، عندها أحسست بثقل الصليب وما فاه بكلمة حينما انفذوا المسامير في يديه وقدميه، كما لم تصدر عنه همسة وما ارتجفت أطرافه تحت طرق المطرقة.

ونختم بهذه العبارات:

١- بعد ساعات طويلة من المعاناة النفسية والجسدية، وعملية الجلد القاتلة، حمل المسيح صليبه إلى موضع تنفيذ عملية الصلب، ولم يستطع إكمال المسير.

٢- بعد أن تأكد الجنود من عدم مقدرة المسيح. سخروا سمعان القيروانى لحمل الصليب، وهذا ليس بدعة، وليست قاصرة على المسيح.

٣- من المؤكد أنه بعد الوصول إلى المكان المعد أنزل سمعان القيرواني الخشبة التي حملها، وصُلب المسيح.

٤- ليس أمر سهل أن يُصلب شخص بدلًا من آخر، لوجود الجنود ولوجود الشهود الكثيرين، ولو حدث شيء مثل هذا لما سكت الشخص الذي يصلب خطأ.

٥- إن الأدلة السابقة لعملية الصلب، والأدلة من خلال الأحداث التي تلت، مثل أقوال المصلوب خلال المحاكمة وعلى الصليب تؤكد أن المصلوب هو المسيح وليس سمعان القيرواني أو أي شخص آخر.

٦- إن من قال بصلب سمعان القيرواني هم الغنوسيون، وهم بدعة مزجت بين الفلسفة الوثنية والمسيحية والعقيدة تؤخذ من الذين يؤمنون بها إيمانًا صادقًا وليس من المبتدعين والهراطقة.

ثالثًا: القول بصلب باراباس

ها هو الادعاء الثالث، وكما سنرى فهو يبعد كثيرًا عن الواقع الفعلي، ولكن لأنه أثير بواسطة البعض، فليس هناك مفر من مناقشته. قال م. أحمد عبد الوهاب: "وبالنسبة لما قيل عن عادة إطلاق أحد المسجونين، فإن وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه لا يُعرف شيء عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا. إن القول بأن عادة الحكام الرومان جرت على إطلاق أحد المسجونين في عيد الفصح، وأن الجماهير هي التي كانت تحدد اسمه بصرف النظر عن جريمته. إنما هو قول لا يسنده أي دليل على الإطلاق، بل يخالف ما نعلمه عن روح الحكم الروماني لفلسطين وأسلوبه في معاملة أهلها. على أن محتويات الحوار بين بيلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضًا،فيبدو منها أن بيلاطس قد ووجه مقدمًا بالاختيار بين مجرمين أُدينا. بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر، ويسوع لم يدن وحسبما تذكره القصة، لا نجد مبررًا يمنع بيلاطس من تبرئة يسوع، إذا كان اعتقد في برائته، وإصدار عفو كذلك عن باراباس.

ونجد في رواية القديس متى لهذه القصة أن اسم ذلك الشخص قد ذكر مرتين (مت٢٧: ١٦-١٧) في أغلب النسخ على أنه: يسوع باراباس. والاعتقاد الشائع أن ذلك كان القراءة الأصلية. وأن حذف كلمة يسوع من النسخ المتداولة بيننا يمكن شرحه ببساطة على أساس أنه بالرغم من أن اسم يسوع كان شائعًا في أيام المسيح، وقد ذكره بولس في رسالته: "يسوع المدعو يسطس" (كو٤: ١١). فلم يلبث المسيحيون أن اعتبروه اسمًا مقدسًا يرقى عن الاستخدام العادي وإن إطلاقه على أحد المجرمين يعتبر مهينًا".

ويضيف د. علي عبد الجليل: "يحتمل أن هذا الذي أخذوه كان أحد المحكوم عليهم بالإعدام كباراباس (لو٢٣: ١٩). الذي قال علماؤهم أنه كان يُسمى يسوع أيضًا.. ونظرًا لأن هذا الرجل كان محكومًا عليه بالإعدام على ما يظهر وكان اسمه يسوع، فلما صلبوه ظن أنه صلب لأجل ما حدث منه من القتل والفتنة. وكلما نادوه باسمه لم يخطر على باله أنهم أقاموه مقام يسوع المسيح الذي ظنه الناس أنه المصلوب".

التعليق

لقد جاءت قصة إطلاق باراباس كعادة في عيد الفصح في الأناجيل الأربعة، (مت٢٧: ١٥-٢٦، مر١٥: ٦-١٥، لو٢٣: ١٧-٢٥، يو١٨: ٣٨-٤٠).

- من هو باراباس؟

من خلال النصوص السابقة نرى أن باراباس هو أسير مشهور (مت٢٧: ١٦)، وقد قبض عليه متهمًا مع رفقائه في فتنه وجريمة قتل (مر١٥: ٧، لو٢٣: ١٩). ويصفه يوحنا بأنه لص أو الأصح قاطع طريق (يو١٨: ٤٠).

وكلمة "باراباس" كلمة أرامية في قالب يوناني، وهى مركبة من مقطعين "بار- أبا" أي "ابن الأب". ويعتقد البعض أن معناها "ابن أبيه" أي المماثل لأبيه في الشر أو "ابن المعلم" ولعله كان ابن أحد معلمي الناموس. ويقول وليم باركلى: "إن اسم باراباس على ما يبدو ليس اسمًا أصيلًا، أنه اسم ثان، لقد كان لقبًا له، كما لقب سمعان بلقب بطرس، وهناك احتمالان لما يعنيه هذا اللقب: فقد يكون مكونًا من مقطعين "بار" ومعناها ابن، و"أبا" ومعناها أب فهو ابن أبيه، وربما يعنى الاسم "بار- آن" أو ابن المعلم، وليس بعيدًا أن يكون ابن واحد من الأحبار المعروفين، انحرف عن التعليم أو ضل طريقه. أو ربما يكون ابن واحد من الذين اختلطت في أعماقهم روح الثورة والتمرد بالأحلام الوطنية، فأصبح في نظر الشعب زعيمًا... وهناك نسخ قديمة من العهد الجديد كالسريانية واليونانية والأرمينية تعطى باراباس لقب "باراباس يسوع" وليس هذا بعيد الاحتمال، لأن اسم يسوع كان شائعًا في ذلك الوقت، إن يسوع هو الترجمة اليونانية للاسم العبري يشوع. وإن كان الأمر كذلك يكون هتاف الجماهير على هذا النحو "ليس يسوع الناصري، بل يسوع باراباس".

ويذكر أوريجانوس في شرحه لإنجيل متى، أنه وجد الاسم في بعض المخطوطات القديمة "يسوع باراباس" (مت٢٧: ١٦-١٧). كما يظهر الاسم على هذه الصورة في المخطوطة ٥ من القرن التاسع وفي بعض المخطوطات السريانية، ولو صح أن اسمه الأول كان "يسوع —وهو أمر غير مستحيل في ذاته- فهو يجعل عرض بيلاطس أقوى واقعًا" من تريدون أن أطلق لكم "يسوع باراباس أم يسوع الناصري؟" ومع أن كثير من العلماء يقبلون هذه الصورة للاسم إلا أنه لا يمكن الجزم بأصالتها أو بصحتها.

- ما هي تهمة باراباس؟

يقول مرقس أنه كان "موثقًا مع رفقائه في الفتنة.. فعلوا قتلًا" (مر١٥: ٧). ويقول لوقا: "وذاك كان قد طرح في السجن لأجل فتنة قد حدثت في المدينة وقتل" (لو٢٣: ١٩،أعمال٣: ١٤) ، ويقول يوحنا: "كان باراباس لصًا" (أو قاطع طريق) (يو١٨: ٤٠).

ولا نعلم شيئًا أكثر من ذلك عن الفتنة التي اشترك فيها، ويزعم البعض أن تلك الفتنة كانت حركة سياسية ضد السلطات الرومانية، وهو أمر بعيد الاحتمال جدًا إذ لا يعقل أن الكهنة ـ وكانوا من الحزب المؤيدين لروما ـ يحرضون الجموع أن يطلبوا إطلاق سراح سجين سياسي من أعداء روما، ويلبى بيلاطس طلبهم، بينما هم يقدمون يسوع المسيح للموت بعلة مقاومة روما وقيصر

(لو٢٣: ٢). فالأرجح أن الفتنة كانت عملًا من أعمال عصابات قطع الطرق، أما الزعم بأن اليهود لم يكن يعنيهم إطلاق سراح مجرد لص أو قاطع طريق ففيه تجاهل لما يمكن أن تنساق إليه جموع الرعاع الهائجة. ومن المهم لدينا "ألا نرى في باراباس صورة لص منازل أو نشال في الطريق العام، لقد كان قاطع طريق يجمع حوله أتباعه ويجنح إلى المناطق الجبلية.

- عادة إطلاق سراح أسير:

إننا لا نعرف شيئًا عن هذه العادة أكثر من ما تخبرنا به الأناجيل، ويقول إلياس نجمة: "هي عادة يجدها المؤرخ عند غير بنى إسرائيل أيضًا من الشعوب القديمة".

فعادة إطلاق الأسرى والسجناء في المناسبات المختلفة ـ سواء الدينية أو القومية ـ كانت ومازالت أمرًا مألوفًا ومتعارف عليه منذ قديم الزمان ومازالت تحدث في بلادنا حتى اليوم.

وإن كنا لا نعلم متى بدأت هذه العادة أو علتها، ولكن ربما كانت كرشوة لليهود لكى يحملوا نير الرومان بالصبر أو ربما توددًا ومداهنة. فليس هذا العمل ببعيد أو بغريب.

- من الذي أطلق سراحه يسوع أم باراباس؟

عندما أحضر القادة اليهود يسوع إلى بيلاطس قائلين: "وجدنا هذا الإنسان يفسد الأمة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر قائلًا: "إنه هو مسيح ملك" (لو٢٣: ٢). لم يستطع بيلاطس إلا أن يأخذ ما قالوا بعين الاعتبار.. ولقد أكد البشيرون أن بيلاطس كان مقتنعًا ببراءة يسوع.. وهكذا صرح علنًا ثلاث مرات بأنه لم يجد أساسًا لاتهامه:

أ- بعد فجر يوم الجمعة بقليل، عندما أحال السنهدرين القضية إليه، أصغى بيلاطس إليهم وسأل يسوع بضعة أسئلة، وأعلن بعد التحقيق الأول "إني لا أجد علة في هذا الإنسان" (لو٢٣: ٤، يو١٨: ٣٨).

ب- عندما عاد يسوع بعد أن استجوبه هيرودس. قال بيلاطس للكهنة وللشعب، قد قدمتم إليّ هذا الإنسان كمن يحرض الناس على العصيان. وها أنا فحصته أمامكم ولم أجد سببًا لاتهامكم له، ولا هيرودس أيضًا، لأنه أعاده إلينا، كما ترون، فإنه لم يفعل شيء يستحق الموت (لو٢٣: ١٣-١٥). عند هذا صاح الجمع: اصلبه اصلبه. لكن بيلاطس قال للمرة الثالثة لماذا، ما الجريمة التي ارتكبها هذا الإنسان؟ لم أجد فيه أسبابًا تستوجب عقوبة الموت(لو٢٣: ٢٢، يو١٩: ٦).

إن بيلاطس أراد أن يتجنب الحكم على يسوع (نظرًا لأنه اعتقد ببراءته). وأن يتجنب في نفس الوقت تبرءته (نظرًا لأن القادة اليهود اعتقدوا بأنه مذنب). فكيف يستطيع أن يوجد وسيلة للتوفيق بين أمرين لا يمكن التوفيق بينهما؟. أنه يحاول إطلاق سراح يسوع وتهدئة اليهود في آن واحد، أي أن يكون عادلًا وظالمًا في آن واحد. وقد جرب أربع محاولات:

١- عندما سمع أن يسوع جليلى، أي تابع لسلطة هيرودس، أرسله إلى هيرودس لكى يحاكم أملًا في أن ينقل إليه مسئولية إصدار قرار، لكن هيرودس أعاد يسوع دون أن يحكم عليه (لو٢٣: ٥-١٢).

٢- جرب أيضًا أنصاف الحلول: "فأنا أؤدبه (أجلده) وأطلقه" (لو٢٣: ٢٢). كان يأمل بأن يرضى الجمهور بما هو أقل من العقوبة القصوى وأن يشبع شهوتهم إلى الدم بمنظر ظهر يسوع الممزق. كان اقتراحًا خسيسًا لأنه إذا كان يسوع بريئًا وجب أن يطلق سراحه فورًا وليس بعد أن يجلد أولًا.

٣- حاول بيلاطس أن يفعل الصواب (إطلاق سراح يسوع) متذرعًا بسبب خاطيء. كان يريد من الجمهور أن يختاره لإطلاق سراحه فبعد أن تذكر عادة الوالي المتبعة في عيد الفصح، وهى أن يعفو عن أحد السجناء، راجيًا أن يختاره الشعب ليستفيد من هذه المنة. وعندئذ يكون بوسعه أن يطلق يسوع بدافع الرحمة وليس بمقتضى العدالة. كانت فكرة ماكرة، ولكنها بحد ذاتها مخزية، وأحبطها جمهور الغوغاء باختيارهم أن يعفو الوالي عن المجرم المشهور والقاتل باراباس.

٤- حاول أن يؤكد براءته، فأخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلًا: "إني بريئ من دم هذا البار" (مت٢٧: ٢٤). ثم قبل أن تجف يداه، أسلم يسوع إليهم ليصلب. من المؤكد أن يسوع كان بريئًا، ومن المؤكد أن العدالة كانت تقتضى إطلاق سراحه ولكن كيف كان بوسع بيلاطس أن يحامي عن البراءة والعدالة، أنه بذلك يتنكر لإرادة الشعب ويهزأ بقادة الأمة ويثير هياجها، وهذا هو الأهم، وبذلك يخسر بسبب خطئه رضى الإمبراطور.

فالمسيح قد أدانته المحاكمة اليهودية ورأت أنه مستوجب الموت، وقدم إلى المحاكمة الرومانية (بيلاطس) ورغم اقتناعة ببراءة المسيح، ولكن تحت ضغط الشعب ورؤساء الكهنة أسلم يسوع ليصلب وأطلق سراح باراباس.

وما أروع الكلمات التي كتبها الأستاذ خالد محمد خالد:

"عندما قاد اليهود في أورشليم روح الله عيسى إلى بيلاطس الحاكم الرومانى مطالبين بصلبه، أطل بيلاطس عليهم ومضى يحاورهم في شأن المسيح، إذ كان يعلم أنهم يريدون إسلامه للموت حسدًا من عند أنفسهم.

قال لهم: ماذا أفعل بيسوع، الذي يدعى المسيح؟

وأجاب اليهود ورؤساء الكهنة: إنه يفسد الأمة.

وقال بيلاطس: إنى لا أجد علة في هذا الإنسان.

ونبحت كلاب أورشليم نافذة بنباحها من الزاوية الحادة التي تحرج بيلاطس، وتكرهه على الاذعان لنبحها.

قالوا: "إنه يهيج الشعب ويمنع أن تعطى الجزية لقيصر وإذا لم تصلبه فلن تكون محبًا لقيصر".

وقال بيلاطس: "إننا الآن في العيد وسنطلق كما هى العادة واحدًا من المحكوم عليهم، فليكن هو المسيح، وتهارش رؤساء الكهنة، وتراكض يهود أورشليم كالخراف الضالة، وصاحوا جميعًا لا.لا. أطلق سراح باراباس، أما المسيح فاصلبه، ويلح بيلاطس كى ينزلوا عند رأيه. فيقول لهم: لقد فحصت هذا الإنسان ولم أجد فيه شيئًا مما تشتكون به.

ولكنهم يلوون ألسنتهم كأذناب الحيات ويصيحون: "خذ هذا وأطلق لنا باراباس. باراباس. باراباس. وأما المسيح فاصلبه".

إنه نفس الخيار يقدم اليوم ويعلن.

إنه لمن حسن الحظ أن الذين يختارون اليوم، ليسوا يهود أورشليم ولكنه العالم كافة والغرب المسيحي خاصة.

لقد رفض أحبار اليهود في ذلك اليوم البعيد، أن يختاروا المسيح، لأنه جماع فضائل لا يطيقونها، ومشرق عصر عظيم لا يسمح لنقائضهم بالازدهار. حتى حين خجل ممثل روما العاتية الباغية، أن يشترك في المؤامرة الدنسة، وتوسل إليهم كي يدعوا للمسيح حريته، رفضوا، وصاحوا به، بل باراباس. الحرية لباراباس والصلب للمسيح.

ترى، ماذا يكون جواب البشرية اليوم، حين يطلب إليها أن تختار.

ترى، هل يقتحم الأفق الوديع المشرق، بنباح الكلاب من جديد. باراباس. باراباس.

أما المسيح، فيصلب

أما السلام، فيصلب

أما المحبة، فتصلب.

هل يمكن أن يحدث ذلك مرة أخرى".

• ماذا حدث لباراباس بعد ذلك؟

لا أحد يعرف، ولكن الكاتبة الروائية (مارى كوريللى) تقدم لنا صورة خيالية رائعة ليست بعيدة الاحتمال، فهو يسير في موكب الصليب، ويشاهد يسوع الناصري يُرفع في المكان الذي كان ينبغي أن يُرفع فيه، فيهتف في انكسار: إن قلبي ينكسر معك أنا المجرم الخاطئ . بعد هذا يشرق عليه النور شيئًا فشيئًا. حتى يصل إلى صبح الإيمان الكامل، فيهتف باسم يسوع الناصري، ويحقد عليه رئيس الكهنة، فيدبر له مؤامرة تنتهى بالقبض عليه، وإلقائه في السجن رهن المحاكمة، وفي صباح اليوم المعين لمحاكمته، يفتح السجان باب الزنزانه ليجده جثة هامدة.

أما الكاتب السويدى (بار لاجير كفيست) فيقدم لنا صورة خيالية أخرى، فباراباس يسير في موكب الصلب، ويستمر هناك حتى موت المسيح، وبعد ذلك يقبض عليه في جريمة، ويعمل في المناجم مع أحد المؤمنين بالمسيح ويعرّفه بالمسيح، لكنه لا يؤمن، ثم يعمل كعبد في قصر الإمبراطور، ويحاول أن يعرف الكثير عن المسيح ويشارك في حريق روما ظنًا منه أنه بذلك يساعد في الإعداد لملكوت المسيح، ثم يُقبض عليه ويُحكم عليه بالموت صلبًا.

مما سبق نرى:

١- إن إطلاق سراح سجين، ليس بدعة، ولكنه أمر كان ومازال قائمًا

٢- إن المسيح صدر عليه حكم الإدانة صلبًا رغم براءته

٣- إن بيلاطس قد أطلق سراح باراباس، ولم يُصلب. أي أن الادعاء بصلب باراباس افتراض خيالي لا سند له.